الركن الرابع: الإيمان بالرُّسُـل

الرُّسُـل جمع (رسول) بمعنى (مُرسَل) وهو المبعوث بإبلاغ شيء ، والمراد هنا: مَن أُوحي إليه من البشر بشرعٍ ، وأُمِر بتبليغِهِ.[1]

ستة عشر فائدة في النبوات

١. الغاية من إرسال الرسل

الرسل وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ شرعه إليهم وإرشادهم إلى ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم ، لأن الناس مهما أوتوا من العلم والذكاء فلا يمكن أن تستقل عقولهم بتشريع عام مُوحَّد تنتظم به مصالح الأمة على أحسن ما يكون ، وذلك لأن عقول البشر قاصرة ، أما الله فهو الحكيم الخبير العليم بمصالح خلقه ، قال تعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[2].

فمن رحمة الله تعالى أن أرسل الرسل ليبلغوا الناس ما ينفعهم ، وبهذا كانوا حجة لله على الناس ، كما قال تعالى ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾[3].

---

[1] انظر «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين ، ص ٩٥ .

[2] سورة الملك: ١٤ .

[3] سورة النساء: ١٦٥ .

٢. بيان الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء رحمهم الله في تعريف النبي على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن النبي هو الذي أَوحى الله إليه بوحيٍ ، لينقله إلى المؤمنين الذين عنده ، كأنبياء بني إسرائيل ، يأمرون أقوامهم بما جاء في التوراة التي أُنزِلت على موسى ﷺ .

وكذا اختلف العلماء في تعريف الرسول على عدة أقوال ، والذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو أن الرسول هو الذي ينبئه الله ، ثم يأمره أن يبلغه رسالته إلى قوم كافرين كما حصل مع نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

ويشهد لصحة هذا المعنى أن نوحا وُصف بالرسالة مع أنه قد تقدمه أنبياء على مدى عشرة قرون ، منهم شيث وإدريس عليهما السلام ، وما ذاك إلا لأنه بُعِث لقوم كافرين أول ما وقع الشرك في الأرض ، بخلاف من تقدمه من الأنبياء ، فإنهم بُعِثوا إلى قوم مؤمنين.

وعلى هذا فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا.[١]

٣. **أول الرسل نوح** ، قال الله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده﴾[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة أن الناس يأتون إلى آدم ليشفع لهم فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحًا ، فإنه **أول رسول** بعثه الله إلى أهل الأرض.[٣]

فإن قيل: أليس آدم عليه السلام أول رسول لبني آدم؟

فالجواب ما قاله الإمام الشنقيطي رحمه الله:

الظاهر أنه لا طريق للجمع إلا من وجهين:

الأول: أن آدم أُرسِل لزوجه وذريته في الجنة ، ونوح أول رسول أُرسِل في الأرض ، ويدل لهذا الجمع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما: (ويقول: ولكن ائتوا نوحا ، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ...) الحديث.

---

[١] انظر كتابه «النبوات» ، (٢/٧١٤ ، ٧١٧) ، تحقيق د. عبد العزيز بن صالح الطويان ، الناشر: دار العاصمة – الرياض.

وانظر للاستزادة في هذا الباب ما قاله الشنقيطي رحمه الله في كتابه «أضواء البيان» في تفسير قوله تعالى في سورة الحج ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾.

[٢] سورة النساء: ١٦٣ .

[٣] أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ، ومسلم (١٩٣) ، ولفظ مسلم: فيأتون نوحا عليه السلام ، فيقولون: يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ... الحديث.

فقوله: (إلى أهل الأرض) لو لم يُرَد به الاحتراز عن رسولٍ بُعِث لغير أهل الأرض لكان ذلك الكلام حشوا ، بل يُفهم من مفهومِ مخالفته ما ذكرنا.

الوجه الثاني: أن آدم أُرسِل إلى ذريته وهم على الفطرة ، لم يصدر منهم كفر فأطاعوه ، ونوح هو أول رسولٍ أُرسِل لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراك بالله تعالى ويأمرهم بإخلاص العبادة له وحده ، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ الآية ، أي: على الدين الحنيف حتى كفر قوم نوح ، وقوله ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾ الآية. والله تعالى أعلم.[1]

٤. **وآخر الرسل والأنبياء محمد ﷺ** ، قال تعالى ﴿ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ من رجَالِكُمْ وَلَكِن رسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين﴾[2].[3]

٥. **ولم تخلُ أمة من رسول** يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه ، أو نبي يوحَى إليه بشريعة مَن قبله ليجددها ، قال الله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾[4] ، وقال تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[5] ، وقال تعالى ﴿إِنَّا أَنزلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[6].

٦. **ودعوة الرسل واحدة** ، وهي الدعوة إلى توحيد الألوهية ، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[7].

٧. **والرسل بشر اصطفاهم الله لحمل الرسالة** ، وحباهم قدرة على القيام بأعبائها والصبر على مشاقِّها ، لاسيما أولو العزم منهم[8] ، قال تعالى ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس﴾[9].

---

[1] باختصار يسير من كتابه «أضواء البيان» ، تفسير سورة البقرة: ٢٥٣ .

[2] سورة الأحزاب: ٤٠ .

[4] سورة النحل: ٣٦ .

[5] سورة فاطر: ٢٤ .

[6] سورة المائدة: ٤٤ .

[7] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[8] سيأتي التعريف بهم قريبا إن شاء الله.

[9] سورة الحج: ٧٥ .

٨. **والرسل بشر مخلوقون** ، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ، قال تعالى عن نبيه محمد ﷺ – وهو سيد المرسلين وأعظمهم جاهًا عند الله – ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١] ، وقال تعالى ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢].

٩. **والرسل تلحقهم خصائص البشرية** من المرض والموت والحاجة إلى الطعام والشراب وغير ذلك ، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ : إنما أنا بشر مثلكم ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني.[٤]

١٠. **وقد وصف الله تعالى رسله بالعبودية له في سياق الثناء عليهم** ، فقال تعالى في نوح ﷺ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورا﴾[٥] ، وقال في محمد ﷺ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرا﴾[٦] ، وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب صلى الله عليهم وسلم ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَار﴾[٧] ، وقال في عيسى ابن مريم ﷺ ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيل﴾[٨].

فالرسل عبيد لله ، وعليه فلا يجوز أن يُصرف لهم شيء من العبادات ، لا دعاء ولا ذبح ولا نذر ولا سجود ولا غيرها من العبادات ، بل المستحق لذلك هو الله وحده ، وهذا أمر مُجمع عليه في جميع الشرائع السماوية كما قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[٩].

---

[١] سورة الأعراف: ١٨٨ .

[٢] سورة الجن: ٢١-٢٢ .

[٣] سورة الشعراء: ٧٩-٨١ .

[٤] رواه البخاري (٤٠١) ، ومسلم (٥٧٢) ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[٥] سورة الإسراء:٣ .

[٦] سورة الفرقان: ١ .

[٧] سورة ص: ٤٥ .

[٨] سورة الزخرف: ٥٩ .

[٩] سورة الأنبياء: ٢٥ .

١١. **وقد فضل الله بعض النبيين على بعض** ، كما قال تعالى ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾[١].

١٢. **وأفضل الرسل هم أولو العزم وهم خمسة** ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، صلى الله عليهم وسلم ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن ؛ في سورة الأحزاب وفي سورة الشورى ، في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾[٢] ، وفي قوله ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٣].

ودلائل تفضيل هؤلاء الخمسة على غيرهم من الأنبياء وكونهم من أولي العزم واضحة ، فمحمد ﷺ قد تقدم الكلام عنه.

وأما نوح ﷺ فإنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض بعدما طرأ الشرك عليهم ، وقد لبث نحو عشرة قرون يدعو إلى التوحيد.

وأما إبراهيم ﷺ فإنه أبو الأنبياء كلهم ممن أتى بعده ، ولهذا أخبر تعالى عنه أنه جعل في ذريته النبوة والكتاب ، قال تعالى ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾[٤].

كما أن إبراهيم عليه السلام كان صِدِّيقا ، وهي صيغة مبالغة من الصِّدق ، لشدة صدقه في معاملته مع ربه ، وقد شهد له الله بذلك في قوله تعالى ﴿وإبراهيم الذي وفَّى﴾ ، وقوله ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمَّهن﴾ ، ودلائل صدقه في معاملته مع ربه عديدة ، منها رضاه بذبح ولده استجابةً لأمر ربه ، وصبره على الإلقاء في النار ، وصبره على مفارقة الأهل والوطن فرارا بدينه.[٥]

وأما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فوجْهُ تفضيلهما على غيرهما من الأنبياء أن الله تعالى أرسلهما إلى أعظم أمة بعد أمة محمد ﷺ ، وهي أمة بني إسرائيل ، وأنزل عليهما أفضل الكتب بعد القرآن

---

[١] سورة الإسراء: ٥٥ .

[٢] سورة الأحزاب: ٧ .

[٣] سورة الشورى: ١٣ ، وانظر تقرير ابن كثير لهذه المسألة عند تفسيره لقوله تعالى ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾. سورة الأحقاف ، الآية ٣٥ .

[٤] سورة الحديد: ٢٦ .

[٥] انظر ما قاله العلامة الشنقيطي رحمه الله في هذا الباب في كتابه «أضواء البيان» ، تفسير سورة مريم ، تفسير قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا﴾.

وهما التوراة والإنجيل ، وقد لقيا في سبيل تحمل أعباء الدعوة من المشاق الشيء العظيم مما هو مذكور في القرآن العظيم.[1]

وموسى أفضل من عيسى عليهما الصلاة والسلام ، وذلك ظاهر في كون الآيات التي آتاها الله تعالى لموسى أعظم من الآيات التي آتاها الله لعيسى ، قال ابن تيمية رحمه الله:

وأهل الكتاب عندهم في كتبهم أن غير المسيح أحيا الله على يديه الموتى ، وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعِصِي التي للسحرة ، وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا.

ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره ، وهي أعظم من إحياء الموتى ، فإن الإنسان كانت فيه الحياة ، فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول ، والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم ، وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا ، وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت.

وأيضا فالله قد أخبر أنه أحيا من الموتى على يد موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل أعظم ممن أحياهم على يد المسيح ، قال تعالى ﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون * ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾[2] ، وقال تعالى ﴿فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى﴾[3] ، وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾[4].

وأيضا فموسى عليه الصلاة والسلام كان يُخرج يده بيضاء من غير سوء ، وهذا أعظم من إبراء أثر البرص الذي فعله المسيح عليه السلام ، فإن البرص مرض معتاد ، وإنما العَجَب الإبراء منه ، وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها إلى حالها الأول ، ففيه أمران عجيبان لا يُعرف لهما نظير.

وأيضا فموسى فلق الله له البحر حتى عبر فيه بنو إسرائيل وغرِق فيه فرعون وجنوده ، وهذا أمر باهر فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله للمسيح.

---

[1] انظر للفائدة ما قاله العلامة الشنقيطي رحمه الله في علة كون آدم عليه السلام ليس من أولي العزم في كتابه «أضواء البيان» ، تفسير سورة طه ، تفسير قوله تعالى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾.

[2] سورة البقرة: ٥٥ – ٥٦ .

[3] سورة البقرة: ٧٣ .

[4] سورة البقرة: ٢٤٣ .

وأيضا فموسى كان الله يُطعمهم على يده المَنَّ والسلوى[1] مع كثرة بني إسرائيل ، ويفجر لهم بضربه للحَجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم ، وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة ، ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكان لموسى في عدوه من القُمَّل والضفادع[2] والدم وسائر الآيات ما لم يكن مثله للمسيح.[3]

---

[1] المَنُّ هو نبات الكمأ ، وهو نوع من الخضروات يخرج من الأرض أيام الأمطار بدون سقي ولا بذر ، وهي مما مَنَّ الله بها على عباده ، وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: الكمْأة من المَن ، وماؤها شفاءٌ للعين. رواه البخاري (٤٨٧٤) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه. وانظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير.

والسلوى طائر كالسُّمَّانى. قاله الأصبهاني في «المفردات في غريب القرآن».

[2] انظر الكلام على هاتين الآيتين في الحاشية التالية.

[3] أشار الله تعالى إلى آيات موسى التسع الدالة على نبوته في موضعين من القرآن:

الأول: في سورة الإسراء ، الآية رقم ١٠١ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾.

والآية الثانية في سورة النمل ، الآية رقم ١٢ : ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

ومعنى الآيتين: ولقد آتينا موسى تسع معجزات واضحات شاهدات على صِدْق نبوته وهي: العصا واليد والسنوات العجاف التي ابتلى بها الله آل فرعون ، ثم كشفها الله عنهم بسبب دعاء موسى لهم ، ونقص الثمرات عليهم والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم الذي ابتلاهم الله به.

فأما آية العصا فمعروفة.

وأما آية اليد فهي إدخال موسى يده في جيبه فتخرج بيضاء كالثلج من غير بَرَص ولا مرض.

وأما الآيات السبع الباقية فهي التي ذكرها الله في القرآن في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسِّنين ونقص من الثمرات لعلهم يذَّكَّرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون * وقالوا مهما تأتِنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين * فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرِّجزُ قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهِد عندك إلئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنُرسِلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرِّجزَ إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾.

وتفسير الآيات المتقدمة كالتالي: ولقد ابتلينا فرعون وقومه بآيتين وهما **القحط ونَقْص الثمار** ، ليتذكروا ، وينزجروا عن ضلالاتهم ، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

فإذا جاء فرعونَ وقومَه سنة فيها خِصب وسعة رزق قالوا: هذا لنا بما نستحقه ، وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتطيروا أي يتشاءموا ، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه. فرد الله عليهم أن ما يصيبهم من الجدب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره ، وبسبب ذنوبهم وكفرهم ، ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك ، لانغمارهم في الجهل والضلال.

وقال قوم فرعون لموسى: أيُّ آيةٍ ودلالةٍ وحجةٍ تأتِنا بها لتصرفنا عما نحن عليه من ديننا ، فما نحن لك بمصدِّقين بها.

انتهى كلامه رحمه الله.[1]

١٣. **وأفضل الرسل قاطبة هما الخليلين** ، إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، لأن الله لم يتخذ خليلين إلا هما عليهما الصلاة والسلام.

١٤. **وأفضل الخليلين هو محمد** ﷺ ، فقد فضله الله على جميع الخلق أولهم وآخرهم ، الأنبياء وغيرهم ، فهو إمامهم وسيدهم ، كما قال ﷺ : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)[2].

كما اختصه الله بآيات تفوق تلك التي آتاها الله غيره من الأنبياء ، وآمن عليها أكثر ما آمن عليه البشر ، وأعظمها القرآن الكريم ، ومن المعلوم أن آيات الأنبياء انتهت بموتهم ، أما القرآن فآية خالدة.

ومن دلائل تفضيله ﷺ على سائر الأنبياء أن الله تعالى جمع فيه ما تفرق في غيره من الأنبياء من الخصائص ، وهو الخُلَّة والكلام والنبوة والرسالة ، فأما الخلة – وهي أعلى درجات المحبة – فهو خليل

فأوقع الله عليهم الرِّجز ، وهو خمس من البلايا ، أولها **الطوفان** ، وهو سيل جارفٌ أغرق الزروع والثمار ، وكذلك **الجراد** ، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم ، وأرسل عليهم **القُمَّل** الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات ، وأرسل عليهم **الضفادع** فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم ، وأرسل عليهم **الدم** فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا ، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب.

هذه البلايا التي ابتلى الله بها بني إسرائيل هي آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره ، ودالات على أن موسى نبي من عند الله ، عصاه فرعون وقومه فابتلاهم الله بها.

ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزِعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة ، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصَدِّقنَّ بما جئت به ، ونتبع ما دعوت إليه ، ولنطلقنَّ معك بني إسرائيل ، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا.

فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى ، ويقيمون على كفرهم وضلالهم ، فانتقمنا منهم حين جاء الأجل المحدد لإهلاكهم ، وذلك بإحلال نقمتنا عليهم ، وهي إغراقهم في البحر ، بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرت على يد موسى ، والدالة على نبوته.

ثم أورثنا بني إسرائيل – الذين كانوا يُستَذَلُّون لخدمة قوم فرعون – مشارق الأرض ومغاربها ، وهي بلاد الشام التي باركنا فيها ، بإخراج الزروع والثمار والأنهار ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه ، ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع ، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور ويتخذونها عروشا لملكهم.

تنبيه: قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية المتقدمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ ، قال:

وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أُخَـر كثيرة ، منها ضربه الحجر بالعصا ، وخروج الماء منه ، ومنها تظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هٰهنا التسع الآيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر ، وكانت حجة عليهم فخالفوها وعاندوها كفرا وجحودا. انتهى.

[1] انظر ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله في «الجواب الصحيح» (٤/١٧ – ١٩).

[2] رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الله ، والله خليله ، وهو يشترك في هذه الخصلة مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال ﷺ : وقد اتخذ الله عز وجل صاحبكم خليلا.[1]

وكذلك الكلام ؛ فقد كلمه الله يوم عُرِج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس ، وهو يشترك في هذه الخصلة مع موسى عليه الصلاة والسلام.

وأما وصفه بالنبوة والرسالة فمعلوم من آيات كثيرة ، كقوله تعالى ﴿يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ، وقوله ﴿وأرسلناك للناس رسولا﴾.

وهذه الصفات الأربع ، الخُلَّة والكلام والنبوة والرسالة ، لم تجتمع في نبي قط إلا في نبينا محمد ﷺ ، وهذا من دلائل تفضيله على سائر الأنبياء.

فائدة

الرسل الذين قصصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك.[2]

فائدة

كثيرا ما يقرن الله سبحانه وتعالى في القرآن بين نبوة محمد ﷺ ونبوة موسى ﷺ ، وبين كتابيهما وشريعتيهما ، لأن كتابيهما أفضل الكتب ، وشريعتيهما أكمل الشرائع ، ونبوتيهما أعلى النبوات ، وأتباعهما أكثر المؤمنين.[3]

١٥. فائدة في انقسام الأنبياء إلى عبدٍ رسولٍ ونبيٍّ ملِكٍ ، وأفضلية من كان عبدا رسولا على من كان ملِكا نبيا

الأنبياء والرسل ينقسمون إلى عبد رسول ونبي ملِك ، والدليل على هذا التقسيم حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملَكٌ ينزِل ، فقال له جبريل: إن هذا الملَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة ، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلَني إليك ربك ، أفملِكا نبيا يجعلُك أو عبدا رسولا؟

قال جبريل: تواضع لربك يا محمد.

فقال رسول الله ﷺ : بل عبدا رسولا.[1]

---

[1] رواه مسلم (٢٣٨٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[2] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسيره عند قول الله تعالى ﴿وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين﴾. (الأنعام: ٨٦).

[3] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسيره في مقدمة تفسير سورة الإسراء.

قلت: والعبد الرسول أفضل من الملِك النبي من وجهين:

الأول: أن الرسول يكون مبعوثا إلى قوم كافرين ، وأما النبي فيكون مبعوثا إلى قوم مؤمنين ، فمهمة الرسول أصعب فلهذا كان أفضل ، وقد تقدم معنا بيان الفرق بين النبي والرسول.

الوجه الثاني: أنَّ من كان عبدا فإنه لا يتصرف فيما تحت مُلكه إلا بإذن الله ، قال ﷺ : إنما أنا قاسم ، والله يعطي.[٢]

وأما من كان ملِكا فإنه يتصرف كما يشاء من غير إثم عليه.

فحال الأول أكمل من حال الثاني فيما يتعلق بالعبودية لله تعالى.

قال ابن تيمية رحمه الله في مسألة انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبدٍ رسول ونبيٍ ملِك:

العبد الرسول أكمل من النبي الملِك ، ويوسف وداود وسليمان عليهم السلام أنبياء ملوك.

وأما محمد ﷺ فهو عبدٌ رسول ، كإبراهيم وموسى والمسيح عليهم السلام ، وهذا الصنف أفضل ، وأتباعهم أفضل.[٣]

وقال أيضا: وقد خيَّر الله سبحانه محمدا ﷺ بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملِكا ، فاختار أن يكون عبدا رسولا.

فالنبي الملِك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام ، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّاب * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَاب * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاص * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَاد * هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَاب﴾.

أي: أعطِ مَن شئت ، واحرم من شِئت ، لا حساب عليك.

فالنبي الملِك يفعل ما فرض الله عليه ، ويترك ما حرَّم الله عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار من غير إثم عليه.

وأما العبد الرسول فلا يُعطي أحدا إلا بأمر ربه ، ولا يُعطي من يشاء ويَحرم من يشاء...

ثم قال: والمقصود هنا أن العبد الرسول هو أفضل من النبي الملِك ، كما أن إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا عليهم الصلاة والسلام أفضل من يوسف وداود وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقربين السابقين أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب الله عليه وفعل من

---

[١] رواه أحمد (٧٧/١٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

[٢] رواه البخاري (٧١).

[٣] «النبوات» (١٦٣/١).

المباحات ما يحبه فهو من هؤلاء[1] ، ومن كان إنما يفعل ما يحبه الله ويرضاه ويقصد أن يستعين بما أُبيح له على ما أمره الله فهو من أولئك[2].[3]

وقال أيضا: والذي أوتيه ﷺ أعظم مما أوتيه سليمان ، فإنه استعمل الجن والإنس في عبادة الله وحده ، وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، لا لغرض يَرجع إليه إلا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته.[4]

وقال أيضا: طاعة الجن لسليمان عليه السلام طاعة مَلَكية ، أما طاعة الجن لنبينا ﷺ فإنها طاعة نبوية.[5]

قلت: ومصداق ذلك في كتاب الله قوله تعالى عن الجن ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم﴾.[6]

وقال تعالى عنهم في سورة الجن ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ ... الآيات.

وقال أيضا ما محصَّلُه أن النبي ﷺ لم يستخلف من بعده أحدا من أهل بيته ولم يُخَلِّف لهم مالا ، وإن كان ذلك مباحا في حقه ﷺ ، فدل ذلك على حرصه على مقام العبودية والرسالة على مقام الملك والنبوة.[7]

١٦. **والرسل غالبون دائما** ، كما قال تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾[8] قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

قد دلت هذه الآية الكريمة على أن رُسُلِ الله غالبون لكل من غالبهم ، والغلبة نوعان: غلبة بالحجة والبيان ، وهي ثابتة لجميع الرسل ، وغلبة بالسيف والسنان ، وهي ثابتة لمن أُمِر بالقتال منهم دون من لم يؤمر به ، وقد دلت هذه الآية الكريمة وأمثالها من الآيات كقوله تعالى ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون﴾[9] أنه لن يقتل نبي في جهاد قط ، لأن المقتول ليس بغالب ، لأن القتل قِسمٌ مقابلٌ للغلبةِ كما بينه تعالى في قوله ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو

---

[1] أي من الأبرار أصحاب اليمين.

[2] أي من المقربين السابقين.

[3] انظر «مجموع الفتاوى» (١١/١٨٠-١٨٢).

[4] انظر «مجموع الفتاوى» (١٣/٨٩).

[5] انظر كتاب «النبوات» ، ص ٨٤١ .

[6] سورة الأحقاف: ٣٠ – ٣١ .

[7] انظر «منهاج السنة النبوية» (٧/٤٦٧).

[8] سورة المجادلة: ٢١ .

[9] سورة الصافات: ١٧١ – ١٧٣ .

يغلب﴾[1] الآية ، وقال تعالى ﴿إنا لننصر رسلنا﴾[2] الآية ، وقد نفى عن المنصور كونه مغلوبا نفيا باتا في قوله تعالى ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾[3].[4]

وقال ابن تيمية ما محصَّله أن ظهور الأنبياء على من خالفهم بالحجة والعلم من جنس المجاهد الذي هزم عدوه ، وظهور الأنبياء على من خالفهم بالسيف وغلبتَهم عليهم من جنس المجاهد الذي قتل عدوه.[5]

فائدة

سَرَد الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة فوائد من غزوة أحد منها "أن عادة الرسل أن تُبتلى وتكون لها العاقبة ، والحكمة في ذلك: أنهم لو انتصروا دائما دخل في المؤمنين من ليس منهم[6] ، ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائما لم يحصل المقصود من البعثة ، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب".[7]

فصل في بيان ما يتضمنه الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل يتضمن سبعة أمور:

الأول: الإيمان بأن الأنبياء كلهم بينهم قاسم مشترك ، وهو الإسلام بمعناه العام ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد (وهو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة من سواه كائنا من كان) ، قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[8].

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الاتفاق في أصل الدين بين الأنبياء في قوله: والأنبياء إخوة لِـعَلاَّت ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد.[9]

---

[1] سورة النساء: ٧٤ .

[2] سورة غافر: ٥١ .

[3] سورة آل عمران: ١٦٠ .

[4] انظر «أضواء البيان».

[5] انظر «النبوات» ، ص ٢٠٩ .

[6] يعني من المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

[7] باختصار يسير من «فتح الباري» ، كتاب المغازي ، تحت قوله: (باب غزوة أحد).

[8] سورة الأنبياء: ٢٥.

[9] تقدم تخريجه.

ففي هذا الحديث شبه النبي ﷺ الأنبياء بالإخوة من العَلاَّت ، وهن الأمهات الذين لهم زوج واحد ، فالأمهات هن الشرائع ، والأب واحد وهو الإسلام بمعناه العام الذي تقدم آنفا ، وهو الاستسلام لله بالتوحيد (وهو إفراد الله بالعبادة).

فبناء على هذه القاعدة فالأنبياء جميعهم من آدم إلى محمد مرورا بإبراهيم وموسى وعيسى كلهم مشتركون مع الدين الإسلامي الذي جاء به محمد في التمسك بالإسلام بمعناه العام ، ليس بينهم فرق إذا نظرنا إليهم من هذا الجانب ، في حين أن لكل أمة من الأمم التي أُرسِل إليها الأنبياء شريعة ومِنهاجا غير التي مع الأمة الأخرى ، كما قال تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شِرعة ومنهاجا﴾. أي: فقد جعلنا لكل أمة شريعة وطريقة يعملون بها ، وهذا من حكمة الله تعالى في شرعه ، حيث شرّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم.

الثاني: الإيمان بهم جميعا من غير تفريق بينهم ، وضد هذا الإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم الآخر ولو كان نبيا واحدا ، قال تعالى في وجوب الإيمان بجميع الأنبياء ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿لا نُفرِّق بَينَ أحد منهم﴾: لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرَّأ من بعضٍ ونتولى بعضًا ، كما تبرأت اليهودُ من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرّت بغيرهما من الأنبياء ، وكما تبرأت النصارَى من محمد ﷺ وأقرّت بغيره من الأنبياء ، **بل نشهد لجميعهم أنّهم كانوا رسلَ الله وأنبياءَه ، بُـعِـثوا بالحق والهدى**. انتهى.

قلت: ووجه كون عدم الإيمان برسول واحد كفرا أن هذا الفعل يقتضي الامتناع من قبول رسالة من رسالات الله ، وهي الرسالة التي بُعِث بها ذلك الرسول ، والاعتراض على عبودية الله التي أمر بها ذلك الرسول قومه.

قال ابن تيمية رحمه الله:

من صدّق محمدا فقد صدّق كل نبي ، ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ، ومن كذّبه فقد كذّب كل نبي ، ومن عصاه[1] فقد عصى كل نبي ، قال تعالى ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون

[1] أي عصيانا كليا.

حقا﴾[1] ، وقال تعالى ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾[2].

ومن كذَّب هؤلاء تكذيبا بجنس الرسالة فقد صرَّح بأنه يكذب الجميع ، ولهذا يقول تعالى ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ ، ولم يرسل إليهم قبل نوح أحدا ، وقال تعالى ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم﴾[3].[4]

قلت: ونظيره قول الله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ ، وقوله ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ ونحو ذلك من الآيات.

وقال العلامة الشنقيطي رحمه الله:

من كذَّب رسولا واحدا فقد كذَّب جميع المرسلين ، ومن كذَّب نذيرا واحدا فقد كذَّب جميع النذر ، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة ، وهي مضمون «لا إله إلا الله» كما أوضحه تعالى بقوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[5] ، وقوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾[6] وقوله تعالى ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يُعبدون﴾[7].

وأوضح تعالى أن من كذَّب بعضَهم فقد كذَّب جميعهم في قوله تعالى ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا﴾ الآية[8] ، وأشار إلى ذلك في قوله ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾[9] ، وقوله ﴿لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[10] ، وقوله تعالى ﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم﴾[11] الآية. انتهى كلامه رحمه الله.[12]

---

[1] سورة النساء: ١٥٠ – ١٥١ .

[2] سورة البقرة: ٨٥ .

[3] سورة الفرقان: ٣٧ .

[4] قاله ابن تيمية رحمه الله كما في «مجموع الفتاوى» (١٩/١٨٥).

[5] سورة النحل: ٣٦ .

[6] سورة الأنبياء: ٢٥ .

[7] سورة الزخرف: ٤٥ .

[8] سورة النساء: ١٥٠ – ١٥١ .

[9] سورة البقرة: ٢٨٥ .

[10] سورة البقرة: ١٣٦ .

[11] سورة النساء: ١٥٢ .

[12] «أضواء البيان» ، تفسير سورة القمر: ٤١ .

تنبيه: النصارى كذبوا محمدًا ﷺ ولم يَتّبعوه ، فهم بهذا مكذبون للمسيح بن مريم غير متبعين له أيضًا ، لأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ وأمرهم بالإيمان به فلم يتبعوه ، نسأل الله العافية والسلامة.

وكذلك الأمر بالنسبة لليهود ، فهم لم يصدقوا بنبوة محمد ﷺ ولا بنبوة المسيح عيسى بن مريم ﷺ ، فهم بهذا كفار ليسوا مؤمنين ، ولو كانوا يؤمنون بموسى والأنبياء قبله.

ووجه كون عدم الإيـمان برسول واحد كفرا أن هذا الفعل يقتضي الامتناع من قبول رسالة من رسالات الله ، وهي الرسالة التي بها ذلك الرسول ، والاعتراض على عبودية الله التي أمر بها ذلك الرسول قومه.

الثالث مما يتضمنه الإيمان بالرسل: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم في القرآن أو صحيح السنة ، فأما القرآن فجاء فيه ذكر ستة وعشرين نبيا ، وهم آدمُ ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وداود وسليمان وأيوب وإلياس ويونس واليسع ولوط وإدريسُ وهودٌ وشعيبٌ وصالحٌ وذو الكِفلِ ويوسف وموسى وهارون والخِضر وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد ، صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا.

وقد نظم أحد الشعراء أسماء خمسة وعشرين نبيا ورد ذكرهم في القرآن في نظمٍ لطيف فقال:

في ﴿تلك حجتنا﴾[1] منهُمُ ثمانيةٌ من بعدِ عشرٍ يبقى سبعةٌ وهُمُ

إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا ذو الكِفلِ آدمُ وبالمختارِ قد خُتِموا

وقد جاء في السُّنَّـة ذكر نبي من الأنبياء لم يأت ذكره في القرآن ، وهو يوشـــع بن نون بن أفراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام[2] ، من أنبياء بني إسرائيل ، وكان قائد بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه الصلاة والسلام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الشمس لم تُحبَس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس.[3]

وحبْـسُ الشمس إنما هو ليستمر النهار فلا تغرب عليهم فيحل الظلام فلا يستطيعوا فتح البلد التي قصدوها وهي بيت المقدس ، وكانوا في يوم جمعة ، ولو دخل عليهم المغيب لدخل يوم السبت ، فلا يتمكنون معه من القتال ، لأن اليهود محرم عليهم فيه العمل ، فنظر النبي يوشع إلى الشمس ودعى ربه بأن لا تغيب حتى يتم الهجوم والنصر ، وبقدرة الله كان له ذلك ، فحبَس الله الشمس في مكانها حتى قضوا حاجتهم وفتحوا البلد ، والحمد لله.[4]

---

[1] يشير إلى الآيات (٨٣ – ٨٦) من سورة الأنعام حيث ورد فيهن أسماء ثمانية عشر رسولا.

[2] رواه أحمد في «المسند» (٣٢٥/٢) ، وقال محققو «المسند»: إسناده صحيح على شرط البخاري.

[3] انظر «البداية والنهاية» ، ذكر نبوة يوشع.

[4] وانظر القصة مفصلة في «صحيح البخاري» (٣١٢٤ ، و«مسلم» (١٧٤٧) ، وكذلك «البداية والنهاية» ، ذكر نبوة يوشع.

وأما من لم نعلم اسمه من الأنبياء فنؤمن به إجمالا ، وقد أومأ القرآن إليهم في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً من قَبْلِكَ مِنْهُم من قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم من لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1].

ويدخل في هؤلاء الذين لم نعلم أسمائهم الأسباط ، وهم الأنبياء من ذرية يعقوب عليهم الصلاة والسلام ، وهو إسرائيل ، إذ السبط في بني إسرائيل يكافىء القبيلة في بني إسماعيل ، والشعوب في العجم ، وسُمُّوا الأسباط بذلك من السَّبط وهو التتابع ، وهم اثنا عشر رَجلا ، وَلَد كل رجل منهم أمّة من الناس ، فسموا أسباطا[2] ، وليس أحد من ذرية يعقوب نبيا إلا يوسف عليه السلام ،كما سيأتي بيانه.[3]

وكان هؤلاء الأسباط متتابعون في ظهورهم حتى جاء المسيح عليه السلام.

فالحاصل أن عدد الأنبياء والرسل المذكورين في الكتاب والسنة سبعة وعشرين ، والحمد لله.

ورسل الله ثلاثمائة وخمسة عشر ، منهم الرسل الذين صرح القرآن والسنة بأسمائهم وقد تقدموا ، والبقية لا نعلمهم ، والدليل على عددهم حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، أنبيٌّ كان آدم؟

قال: نعم ، معلَّمٌ مكلَّم.

قال: كم بينه وبين نوح؟

قال: عشرة قرون.

قال: كم كان بين نوح وإبراهيم؟

قال: عشرة قرون.

قالوا: يا رسول الله ،كم كانت الرسل؟

قال: ثلاثمائة وخمس عشرة ، جمًّا غفيرا.[4]

الرابع مما يتضمنه الإيمان بالرسل: التصديق بما صح عنهم من أخبارهم ،كالأخبار الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة ، والأخبار الصحيحة التي ذكرها أصحاب السِّيَر وكتب التاريخ ، والتي تتضمن قصصهم وخصائصهم ، وأما الأخبار المروية عن الرسل في كتب أهل الكتاب والتي ليس لها ما يعضدها

---

[1] سورة غافر: ٧٨ .

[2] انظر «تفسير الطبري» ، سورة البقرة: ١٣٦ .

[3] انظر «تفسير ابن كثير» ، سورة يوسف: ٨ .

[4] رواه الحاكم في «مستدركه» (٢/٢٦٢) ، واللفظ له ، وقال الذهبي: على شرط مسلم ، وكذا رواه الطبراني في «الكبير» (٨/١١٨-١١٩) ، وفيه: (ثلاثمائة وثلاثة عشر) ، وصححه الألباني كما في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٦٨).

من الأخبار الصحيحة المذكورة في كتب المسلمين فهذه لا يلزم المسلم تصديقها ولا تكذيبها ، إلا إن كانت منافية لما في كتب المسلمين الصحيحة فعندئذ يجب تكذيبها ، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ : «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[1] الآية.[2]

والمقصود بما أنزل إليهم هما التوراة والإنجيل الأصليين التي أنزلها الله على موسى وعيسى ، وليست التوراة والإنجيل المحرفة التي بأيدي اليهود والنصارى الآن.

الخامس من مقتضيات الإيمان بالرسل: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم ، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس ، قال الله تعالى ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3].

السادس مما يتضمنه الإيمان بالرسل: الإيمان بأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلوا به على وَفْق ما أمرهم الله به ، وأنهم بينوه بيانا شافيا لا يسع أحدا ممن أرسلوا إليه جهله ، قال تعالى ﴿فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾[4] ، ﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾[5] ، ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾[6] ، ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[7].[8]

السابع مما يتضمنه الإيمان بالرسل: الإيمان بما أيَّدهم الله به من آيات ، وتسمى أيضا براهين ودلائل ، وهي الأمور الخارقة للعادة التي يجريها الله على أيديهم دلالة على نبوتهم ، ولئلا يبقى أمرُهم مشكلا على الناس ، فإن الناس إذا رأوا رسلهم قد أُيِّدوا بأمور فوق قدرة البشر وطاقتهم ؛ علِموا أنهم مرسلون من عند الله تعالى ، فاستيقنوا أمرهم وآمنوا بهم وثبتت قلوبهم على الدين.

ومن تلك الآيات عصا موسى التي ألقاها بين أيدي سحرة فرعون فإذا هي حية تسعى ، تلقف وتلتهم ما ألقَوه من الحبال والعصي ، فآمنوا ، لأنهم علِموا أن ما أتى به موسى من عند الله وليس سحرا ، وبعد إيمانهم بقيت العصا معه ، فلما سار بقومه تجاه البحر فرارا من فرعون ضرب بهذه العصا البحر فانفلق

---

[1] لعل هناك خطأ من النساخ ، فلفظ الآية ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم﴾ الآية (١٣٦) من سورة البقرة. وانظر تعليق محققي صحيح البخاري على الحديث ، طبعة مؤسسة الرسالة العالمية.

[2] رواه البخاري (٧٣٦٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] سورة النساء: ٦٥ .

[4] سورة النحل: ٣٥ .

[5] سورة النحل: ٨٢ .

[6] سورة العنكبوت: ١٨ .

[7] سورة التغابن: ١٢ .

[8] انظر «شرح الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي ، ص ٣١١ ، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

فسار في طريق يابس مع قومه فنجاه الله ، وفي صحراء سيناء ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا على قدر أسباط بني إسرائيل ، فعصا موسى ليست إلا آية من عند الله ليعلم الناس أنه رسول من عند الله ، فيكون حجة على من لم يؤمن ، وتثبيتا لمن آمن به ﷺ .

ومن الآيات أيضا ما أيد الله به عيسى ﷺ ، فقد كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، ويمسح بيده على الأكمه – وهو الذي وُلِد أعمى – والأبرص فيبرآن بإذن الله ، وكان يُحيِي الموتى بإذن الله ، أفليس هذا دليل على أنه رسول من عند الله؟ بلى والله.

كما أيد الله نبيه محمدا ﷺ بآيات كثيرة ، كلها تدل على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله حقا ، أشهرها القرآن الكريم ، فهو الآية الكبرى الدالة على نبوة محمد ﷺ .

فائدتان في باب الإيمان بالآيات التي أُرسل بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الفائدة الأولى:

إن من حكمة الله تعالى أن جعل كبريات الآيات على أيدي رسله من جنس ما برز فيه أهل العصر الذي بُعث فيه ذلك الرسول ، ليكون ذلك أبلغ في الحجة والإقناع بأن ذلك الرسول مرسل من عند الله حقا ، ففي عصر موسى عليه الصلاة والسلام اشتهر قومه بالسحر ، فكانت آية موسى من جنس ما اشتهروا فيه وزادت عليه ، بأن كانت حقيقة لا خيالاً.

وفي عصر عيسى عليه الصلاة والسلام كان علم الطب مترقياً إلى حد كبير ، فجاءت آيته من جنس ما برزوا فيه وزيادة ، بأن جعل الله على يده الشفاء من أمراض لا يستطيع قومه علاجها وهي العمى والبرص ، بل وإحياء الموتى، كلها بإذن الله تعالى.

وكذلك الأمر بالنسبة لنبينا محمد ﷺ ، فقد ترقى الناس في عصره في جانب الفصاحة ، فكُتبت المعلقات الفصيحة ونُظمت القوافي البليغة ، فجاء القرآن معجزاً لهم أن يأتوا بمثله ، ثم أعجزهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يستطيعوا ذلك ولا بآية واحدة.

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السِّحر وتعظيم السّحرة ، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيّرت كل سحّار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام ، وصاروا من عِباد الله الأبرار.

وأما عيسى عليه السلام فبُعِث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدا من الذي شرعَ الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكْمه والأبرص ، وبعْث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد[1]؟

وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمان الفصحاء والبُلغاء ونحارير[2] الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل ، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعَشْر سُور من مثله ، أو بسورة من مثله ؛ لم يستطيعوا أبدا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[3] ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب عز وجل لا يشبه كلام الخلق أبدا.

انتهى كلام الحافظ ابن كثير رحمه الله.[4]

الفائدة الثانية:

إن من حكمة الله تعالى أن جعل معجزة القرآن خالدة ، أما معجزات النبي ﷺ الأخرى وكذلك معجزات الأنبياء قبله فقد انقرضت ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[5]

قال النووي رحمه الله:

أَمَّا مَعَانِي الْحَدِيث فَاخْتُلِفَ فِيهِ عَلَى أَقْوَال ؛ أَحَدهَا أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مِنْ الْمُعْجِزَات مَا كَانَ مِثْله لِمَنْ كَانَ قَبْله مِنْ الأنبياء ، فَآمَنَ بِهِ الْبَشَر ، وَأَمَّا مُعْجِزَتِي الْعَظِيمَة الظَّاهِرَة فَهِيَ الْقُرْآن الَّذِي لَمْ يُعْطَ أَحَد مِثْله ، فَلِهَذَا قَالَ: أَنَا أَكْثَرهمْ تَابِعًا.

وَالثَّانِي مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي أُوتِيته لا يَتَطَرَّق إِلَيْهِ تَخْيِيل بِسِحْرٍ وَشُبْهَة ، بِخِلَافِ مُعْجِزَة غَيْرِي ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُخَيِّل السَّاحِر بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَارِب صُورَتهَا ، كَمَا خَيَّلَتْ السَّحَرَة فِي صُورَة عَصَا مُوسَى ﷺ ، وَالْحَيَال قَدْ يَرُوج عَلَى

---

[1] يوم التَّناد هو يوم القيامة ، سُمِّي بذلك لأن الملائكة تنادي أهل الجنة بأعمالهم وأهل النار وأعمالهم ، وقيل لأن الناس ينادي بعضهم بعضا في ذلك اليوم إذا اشتد الهول والفزع.

[2] نحارير جمع نحرير ، وهو الحاذق الماهر العاقل المجرب. انظر «لسان العرب» ، مادة (نحر).

[3] الظهير هو المعين. انظر «لسان العرب» ، مادة (ظهر).

[4] «تفسير القرآن العظيم» ، سورة آل عمران ، الآية ٤٩ ، وللقرطبي كلام مثله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، خاتمة باب: (نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها) ، وكذا ابن حجر في «فتح الباري» (٦٢٢/٨) ، شرح حديث: (وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي).

[5] رواه البخاري (٤٩٨١) ومسلم (١٥٢).

بَعْض الْعَوَامّ ، وَالْفَرْق بَيْن الْمُعْجِزَة وَالسِّحْر وَالتَّخْيِيل يَحْتَاج إِلَى فِكْر وَنَظَر ، وَقَدْ يُخْطِئ النَّاظِر فَيَعْتَقِدهُمَا سَوَاء.

وَالثَّالِث مَعْنَاهُ أَنَّ مُعْجِزَات الْأَنْبِيَاء اِنْقَرَضَتْ بِانْقِرَاضِ أَعْصَارهمْ وَلَمْ يُشَاهِدهَا إلا مَنْ حَضَرَهَا بِحَضْرَتِهِمْ ، وَمُعْجِزَة نَبِيّنَا ﷺ الْقُرْآن الْمُسْتَمِرّ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، مَعَ خَرْق الْعَادَة فِي أُسْلُوبه وَبَلَاغَته وَإِخْبَاره بِالْمُغَيَّبَاتِ ، وَعَجْز الْجِنّ وَالْإِنْس عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْله مُجْتَمِعِينَ أَوْ مُتَفَرِّقِينَ فِي جَمِيع الْأَعْصَار ، وَمَعَ اِعْتِنَائِهِمْ بِمُعَارَضَتِهِ فَلَمْ يَقْدِرُوا وَهُمْ أَفْصَح الْقُرُون ، مَعَ غَيْر ذَلِكَ مِنْ وُجُوه إِعْجَازه الْمَعْرُوفَة. وَاَللَّه أَعْلَم.

وَقَوْله ﷺ : (فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرهمْ تَابِعًا) عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّه تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلاد وَبَارَكَ فِيهِمْ ، حَتَّى اِنْتَهَى الأمْر وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة ، وَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى ، وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى باختصار.

وقال شمس الدين الذهبي رحمه الله في شرح قوله (وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي):

هذه هي المعجزة العظمى ، وهي القرآن ، فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام كان يأتي بالآية وتنقضي بموته ، فقَلَّ لذلك من يتَّبِعه ، وكَثُرَ أتباع نبينا ﷺ لكون معجزته الكبرى باقية بعده ، فيؤمن بالله ورسوله كثيرٌ مِمَّن يسمع القرآن على مر الأزمان ، ولهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة. انتهى.[1]

وقال ابن حجر في «الفتح» في شرح الجملة المتقدمة: أي أن معجزتي التي تحديت بها ؛ الوحي الذي أُنزِل علي ، وهو القرآن ، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح ، وليس المراد حصر معجزاته فيه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختُص بها دون غيره. انتهى مختصرا.

وقد تقدم في الركن الثالث بيان وجوه إعجاز القرآن وخصائصه.

[1] «سير أعلام النبلاء» ، قسم السيرة النبوية ، (٣٥١/٢٧) ، باب جامع في دلائل النبوة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

فصل في بيان نواقض الإيمان بالرسل

اعلم رحمك الله أنه كما أن الإيمان بالرسل لا يتحقق إلا بأمور ؛ فإن الإيمان بهم ينتقض بأمور:

الأول: تكذيبهم ، أي تكذيب أنهم رسل من عند الله وإن كان التكذيب متعلق برسول واحد ، لأن الإيمان بواحد منهم يقتضي الإيمان بالجميع ، والتكذيب بواحد منهم يقتضي التكذيب بالجميع ، وهذا الناقض حاصل في جميع الأمم من عهد نوح إلى قيام الساعة.

الثاني: تكذيب ما جاؤوا به ولو كان جزءا من الشريعة ، فلو أن رجلا زعم أنه آمن بما جاء به النبي ﷺ ، ولكنه لم يؤمن بأنه خاتم الأنبياء ؛ فهذا في الحقيقة لا يعتبر مؤمنا بالنبي ﷺ ، لأن الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي الإيمان بما جاء به وعدم تكذيبه في شيء منه ولو كان شيئا واحدا.[1]

الثالث: عدم الانقياد لشريعتهم ، فلو أن رجلا زعم أنه آمن بأن محمد ﷺ مرسل من ربه ، ولكنه أبى العمل بشريعته ، فإن هذا الرجل لا يُعد مؤمنا حتى ينقاد لشريعته ، فإن دليل الإيمان العمل ، ولهذا فإن أبا طالب عم النبي ﷺ لا يُعتبر مسلما مع كونه آمن بأن ابن أخيه رسول من عند الله حقا ، وما ذاك إلا لأنه أبى الانقياد لشريعته تقليدا لقومه ولئلا يُعيره الناس بترك دين الآباء والأجداد.

الرابع: إيذاؤهم ، بسببهم أو الاستهزاء بهم أو تنقصهم أو التعدي عليهم في حياتهم ، وهذا الفعل كفر ، قال تعالى ﴿قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾[2].

الخامس: الغلو فيهم ، أي تعظيمهم فوق الحد الشرعي ، بصرف شيء من العبادات لهم ، كدعائهم والسجود لهم والطواف بقبورهم والذبح لهم ، أو وصفهم بشيء من صفات الرب عز وجل ، كادعاء أنهم يعلمون الغيب ، أو يتصرفون في الكون ، ونحو ذلك ، فهذه كله شرك في العبادة وفي أسماء الله وصفاته.

تنبيه

الغلو في الصالحين من أعظم أسباب الانحراف ، سواء كان في حق من كانوا أنبياء أو من ليسوا بأنبياء ، وهو الذي أدى بكثير من الأمم إلى الوقوع في الشرك ، بدءا من أمة نوح إلى أمة محمد ﷺ ، فقد كان منشؤ الشرك في عهد نوح عليه الصلاة والسلام من تعظيم الصالحين ، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى ﴿وقالوا لا تذرُن آلهتكم ولا تذرُن ودًّا ولا سواعا ولا يغوث

---

[1] يراجع للفائدة كتاب «المتنبئون في الإسلام وخطرهم على الفكر والمجتمع» ، د. غالب بن علي عواجي ، الناشر: دار النصيحة – المدينة.

[2] سورة التوبة: ٦٥ – ٦٦ .

ويعوق ونسرا﴾[1] قال: أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا[2] أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا إلى مجالِسهم التي كانوا يجلسون أنصابا[3] ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم[4] عُبدت.[5]

وروى ابن جرير بإسناده إلى الثوري عن موسى عن محمد بن قيس أنه قال عن يغوث ويعوق ونسرا: كانوا قومًا صالحين من بني آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم ، فصوّروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس ، فقال: إنما كانوا يعبدونهم ، وبهم يُسقون المطر ، **فعبدوهم**.[6]

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: كان هؤلاء[7] قومًا صالحين في قوم نوح عليه السلام ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.[8]

وبعد نشوء الشرك وعبادة الأصنام في قوم نوح تتابع الناس على ذلك وانتشر بينهم كما قال ابن عباس رضي الله عنه: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ[9] ، أما وُد فكانت لكلب بدومة الجندل[10] ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحِمير لآل ذي الكلاع.[11]

وقال قتادة: كانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح ، **ثم اتخذها العرب بعد ذلك**.[12]

وبناء على ما تقدم من الحقائق التاريخية ، فقد قرر ابن القيم في «زاد المعاد» أن غالب شرك الأمم كان من جهة الصور والقبور.[13]

---

[1] سورة نوح: ٢٣ .

[2] أي ماتوا.

[3] أي اصنعوا أنصابا ، وهي تماثيل تصنع على هيئتهم ثم تنصب في المجالس ليراها الناس فيقتدوا بهم في أفعالهم! وهكذا دخل عليهم الشيطان.

[4] أي تحول من حال إلى حال. انظر «النهاية». قال مقيده: وسبب التحول والتحريف هو عدم الحفظ.

[5] رواه البخاري (٤٩٢٠).

[6] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ .

[7] أي ودًّا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا.

[8] «إغاثة اللهفان» ، (١٨٤/١) ، تحقيق محمد حامد الفقي.

[9] أي بعد ذلك الزمان ، كما سيأتي في كلامه.

[10] موضع في شمال جزيرة العرب.

[11] رواه البخاري (٤٩٢٠).

[12] «تفسير ابن جرير» ، تفسير سورة نوح: ٢٤ .

[13] «زاد المعاد» (٤٥٨/٣) ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

وقد نهى الله أهل الكتاب من قبلنا عن الغلو عموما ، في الأنبياء وفي سائر أمور الدين ، فلم يستجيبوا فضلُّوا وأضلُّوا ، قال تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي لا تُجاوزوا الحد في اتباع الحق ، ولا تُطروا[2] من أُمرتم بتعظيمه ، فتبالغوا فيه حتى تخرجوه عن حيز النبوة إلى مقام الإلهية ، كما صنعتم في المسيح ، وهو نبي من الأنبياء ، فجعلتموه إلها من دون الله ، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخكم ، شيوخ الضلال ، الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً. انتهى كلامه.

وقال رحمه الله في تفسير آية النساء ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾:

ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء ، وهذا كثير في النصارى ، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها ، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله ، يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه ، فادعوا فيهم العصمة ، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً ، أو ضلالاً أو رشاداً ، أو صحيحاً أو كذباً ، ولهذا قال الله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾[3].

ثم ساق حديث عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا: عبد الله ورسوله.[4] انتهى.

---

[1] سورة المائدة: ٧٧ .

[2] الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

[3] سورة التوبة: ٣١ .

[4] رواه البخاري (٣٤٤٥) واللفظ له ، وأحمد (١/٥٥) ، والدارمي (٢٧٨٧).

فصل في بيان ثمرات الإيمان بالرسل[1]

الإيمان بالرسل له ثمرات جليلة ، منها:

الأولى: العلم برحمه الله تعالى وعنايته بعباده ، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله تعالى ، ويُبينوا لهم كيف يعبدون الله ، لأن العقل البشري لا يستطيع معرفة ذلك بنفسه.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: محبة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم والثناء عليهم بما يليق بهم ، لأنهم رسل الله تعالى ، ولأنهم قاموا بعبادته ، وتبليغ رسالته ، والنصح لعباده ، وجاهدوا في سبيل ذلك.

الرابعة: الهداية إلى الدين الصحيح الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى ، وذلك بالعمل بما أمرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من الشرائع المنزلة.

الخامسة: الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما جاؤوا به من عبادات ، وسؤالهم عما أشكل من أمور الدين في حياتهم ، والرجوع إلى ورثتهم – وهم العلماء – بعد مماتهم ، كما قال تعالى ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[2] ، وقال ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[3].

---

[1] هذا الفصل مستفاد أكثره من «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين ، ص ٩٩ .

[2] سورة الأنعام: ٩٠ .

[3] سورة النساء: ٨٠ .

فصل في الرد على شبهة المكذبين بالرسل[1]

وقد كذَّب المعاندون رُسُلَهم ، زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر ، وقد ذكر الله تعالى هذا الزَّعم وأبطله بقوله ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رسولا * قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ ملائكةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنزلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء مَلَكًا رَّسُولاً﴾[2] ، فأبطل الله تعالى هذا الزَّعم بأنه لا بد أن يكون الرسول بشرًا من جنسهم ، لأنه مُرسلٌ إلى أهل الأرض ، وهم بشر ، ولو كان أهل الأرض ملائكة لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولا ، ليكون مثلهم.

---

[1] هذا الفصل منقول من «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين ، ص ٩٩ .

[2] سورة الإسراء: ٩٤- ٩٥ .